مشاركةُ العَتَبْ

في

مشاكلةِ العَجَبْ

بقلم

عادل بن شعيب شلاّر الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق من المحاسن ما يتعجب منه أولو الألباب ، والحمد لله الذي خلق من المتناقضات ما وجد بها أهل الفكر العجب العجاب ، والصلاة والسلام على العبد الذي تعجب العارفون من كماله وتمام محاسنة وزوال التناقض عنه في كل مبنى من مبانيه ، وفي كل معنى من معانيه ، وعلى آله وأصحابه وكل تابعيه ومحبيه، وبعد :

لما تفكرت في دنيا الناس لاحظت في تصرفاتهم وأحكامهم كثيراً من التناقضات العجيبة ، فأحببت أن أسجل شذرات منها في كتاب مختصر ، وأنبه فيها إلى

موطن الأرب ، وأستجلب إلى الأذهان محرضات العتب ، على تلكم الأصناف الذين بدا ليَ منهم العجب ، عسى يحدث بسريان هذا اللوم في الآفاق ، نوعاً من التهذيب لكل مبطل وأفاك .

وقد جمعت هذه الشذرات في كتاب صغير سميته (مشاركة العتب في مشاكلة العجب) والهدف من هذا العنوان أن المطلع على الكتاب يحصل عنده مشاركة ذهنية لهذه الأفكار فيقوم بمشاكلة هذا الكتاب واستخراج جملة من الحقائق ، وملاحظة أنواع جديدة من العجب في دنيا الخلائق ، ثم يبث رسالتها في عالم الفكر ودنيا الناس مما يزيد في نفع العباد بالمواعظ والرقائق ،

ويدني أحوالهم من ساحة الرشاد بشتى اللطائف والدقائق.

وقد صدّرت كل فقرة من فقراته بكلمة (عجبت) وهيا بنا نبدأ بالمقصود بعون الرب المعبود :

- **عجبت** لقريش في شدة عداوتها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم لا يجدون أحداً أفضل منه يأتمنونه على نفائس ودائعهم ، وعجبت لهم يتهمونه بأنه مسحور ، ثم يقولون عنه ساحر يسحر الناس ويتهمونه بأنه كذاب ، ويلقبونه الصادق الأمين ويقولون عنه كاهن أو شاعر مجنون ، ثم يقولون عن كلامه ما هو بقول كاهن وإن

قوله ليعلو ولا يعلى عليه ، وقد عجزوا أن يأتوا بأفضل من حديثه ولا بمثله في العلو والفصاحة والبيان .

- **عجبت** لطائفة من المسلمين يقولون : إن محمداً – صلى الله عليه وسلم – لا يسمع ولا ينفع لأنه ميت ، فإن كان الميت لا يسمع ولا ينفع ، فلماذا يقولون في تشهد صلواتهم كل يوم : ((السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)) ، ولماذا إذا أتوا المقابر خاطبوا الأموات : ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا، إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية)) فاعجب لتناقضهم .

- **عجبت** لامرأة صارت أماً لأولاد تزوجوا وصاروا آباء كيف تجتهد في جمع أولادها على قلب واحد ولملمة شتاتهم ، وفكفكة مشاكلهم ، فهي لا تألو جهداً في نصحهم والدعاء لهم والستر عليهم وتقريب وجهات النظر بينهم ، فلا تترك طريقة لاستدامة ألفتهم إلا فعلتها .

وأعجب ما في هذه الحياة أن هذه المرأة نفسها يوم كانت كنّة في كنف حماتها لم تكن تدخر جهداً في تفريق أولاد حماتها وزرع الشقاق بينهم ليخلو لها البيت أو تخلو بزوجها بعيداً عن أهله ، تكف يده عن العطاء ، والمشاركة في مصاريف العائلة ، وتكف أولادها عن سرور حماتها بالبنين والحفدة .

فإذا جاء الرجل إلى أمه مرة في الأسبوع ، قالت له زوجته ، أسمح لك بخمس دقائق ... يدخل ويسلم على أمه ويقبل يدها ويضع في يدها دريهمات وكيساً من الخضار والفواكه ويذهب قبل أن يستأنس به فؤادها .

ودار الزمن دورته وأصبحت تلك الزوجة أمّاً وزوجت أبناءها وشربت من الكأس الذي ملأته بعكارة أعمالها .

- **عجبت** لمرأة فعلت الأفاعيل من الغضب لما قيل لها إن زوجك يريد أن يتزوج عليك ، فوصل بها الغيظ والوسواس إلى أن تهدد زوجها بالقتل أو تضع له السم إن تزوج عليها ، وقد بلغ بها أن

أنكرت الدين واتهمت القرآن بالحيف والظلم للنساء .

تلك المرأة نفسها نصحت أخاها عندما وقع شقاق بينه وبين زوجته ، فقالت له : تزوج عليها واكسر غرورها فلا يكسر أنف المرأة إلا امرأة مثلها ولا يفل الحديد إلا الحديد.

وأعجب للأم التي تأمر ولدها أن يتزوج على زوجته التي تأخرت بالإنجاب وتقول له : أغضب عليك إن لم تتزوج عليها ، وهي نفسها التي تهدد زوجها إن فكر يوماً أن يتزوج عليها .

وإن المرأة لتنتسب إلى جمعيات حقوق المرأة وتخرج بالمظاهرات المنددة لتعدد الزوجات ، فإذا أعجبها

رجل غني وسيم قالت له : أنا مستعدة أن أنزل على ضرة ... يا ترى أين ذهبت مبادئها التي كانت تدافع عنها .

حكي أن رجلاً ميسور الحال حلو اللسان ، له أربع زوجات فخيرهن ، قائلاً : من كانت منكن تكره التعدد والعيش مع الضرة فلتخبرني حتى أطلقها ، فاتفقن كلهن على البقاء في عصمته .

فانظر إلى هذا التناقض العجيب في أخلاق النساء !

- **عجبت** إلى من يتهم الفقه الإسلامي بالكهنوت ويقول : الفقه الإسلامي اجتهادات شخصية مليئة بالأخطاء والتناقضات والخرافات ، وقد

قدسوا هذه الاجتهادات وجعلوها أحكاماً إلهية وقاموا بالتوقيع عن الله وجعلوا اجتهادهم عين مراد الله .

هذا الإنسان نفسه ، عندما يتعامل مع القرآن يقوم بالاجتهاد المليء بالمغالطات ثم يجعل رأيه هو عينَ مراد الله الواجب على المؤمن بالقرآن اتباعه ، وهكذا يتهم غيره بالكهنوت وهو يفعل ذات الشيء الذي يتهم غيره به فيجعل اجتهاده إلهياً واجب الإتباع .

- **عجبت** لمن ينهى العوام عن تقليد المذاهب الأربعة ويدعو إلى الأخذ مباشرة من القرآن والحديث الصحيح ، وبعد أن يجتهد ويستنبط الأحكام

حسب فهمه وعقله ، يخطّئ اجتهاد غيره ويأمرهم أن يقلدوا حضرته ، فانظر إلى هذا التناقض ينهى الناس عن تقليد الأئمة الأربعة المجتهدين أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل الذين أجمعت الأمة على قلة أخطائهم في الاستنباط وعلى وجوب تقليدهم والأخذ بفهمهم للكتاب السنة ، ثم ترى ذلك الصعلوك يأمر الناس أن يقلدوا حضرته ويتبعوا اجتهاداته ! .

- **عجبت** لمن ينكرون النسخ في القرآن ثم يقومون هم بنسخ أحكام القرآن وإبطالها باجتهاداتهم ، ونسخ أحكام السنة باجتهاداتهم ، ونسخ اجتهادات أئمة الفقه باجتهاداتهم ... أليس عيباً

أن ينكروا شيئاً وهم يدأبون على فعله مع القرآن والسنة والاجتهاد الفقهي .

فائدة :

من أنكر النسخ استدل على إنكاره بأن النسخ يلزم القول بالبداء وهو تغيير الرأي إذا ظهر أنه خطأ ، وهذا محال على الله لذلك فالله لا ينسخ قوله ولا يغيره .

الرد عليهم :

– أثبت الله وجود النسخ بقوله ((ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها))

- النسخ ليس دليلاً عقليا على جهل الناسخ ، لأن من أسباب النسخ تغير أحوال المخلوق وهكذا تتغير الأحكام المتعلقة به .

ومثال ذلك :

كان المدير يعطي الموظفين راتباً قدره ألف وصدر قانون بعدم إعطاء زيادة ، وبعد فترة أصبح الموظفون خبراء في العلم فصدر قانون الزيادة ونسخ القانون القديم ، فالنسخ كان بسبب تغير أحوال العمال وليس بسبب جهل المدير .

- النسخ من وسائل التربية من خلال التدرج بالأحكام ، فالمربي لابد أن يشرع أحكاماً

متدرجة وينسخها عند تحقق الفائدة منها ، وهذا ما حدث في كثير من الآيات التي تطرق إليها النسخ .

- **عجبت** لمن يقول (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ولا حاجة لنا للسنة التي نقلها أهل الحديث والأثر ، لأن القرآن فيه تفصيل كل شيء وتبيان كل شيء ، فإذا بهذا القائل ينكر المهمة التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بها وهي شرح القرآن وبين أحكامه ، ثم يقوم هو بتلك المهمة فيقوم بشرح القرآن على هواه والتلاعب بأحكام الدين حسب مصالحه .

فانظر إلى التناقض الذي هو فيه ينكر المهمة النبوية ثم يقوم هو بها ، ينهى الناس عن اتباع البيانات النبوية ثم يأمر الناس باتباع بياناته هو .

- **عجبت** لمن يتهم الإسلام بأنه دين الإرهاب وسفك الدماء ، ثم يفرح إذا سفكت دماء أطفال ونساء وشيوخ المسلمين ويدافع على من سفك دماءهم .
- **عجبت** لمن ينكر حد الرجم ويجعله حكما ظالماً ، ثم يقتل زوجته إذا زنت ويرى قتلها مبرراً ... والمرأة تقول عن زوجها الذي خانها وزنى بامرأة غيرها : القتل والخنق قليل عليه ، يصدرون أحاماً أشد من الأحكام الإلهية .

فائدة :

لماذا كانت عقوبة الزاني المتزوج الرجم وليس القتل ؟

لأن المقصود من العقوبة الردع والتخويف وليس تحري الموت ، وأنسب عقوبة يتم بها التخويف الشديد مع تأمين عنصر النجاة من الموت هي عقوبة الرجم بالحجارة، لأن الزاني المقر بالزنا إذا هرب من ساحة الرجم فإن الرجم يتوقف ويلغى تنفيذ الحد عليه ، ولو كانت العقوبة القتل بالسيف أو بالرصاص لما كان أمامه فرصة للنجاة إن أراد أن يتراجع عن إقراره عند مباشرة الموت .

- **عجبت لهم** وهم يشترطون على الناس تقديس الإنسانية واحترام كرامة الإنسان وينهون عن الإساءة وتوجيه الأذى للناس ، فإذا تحدثوا كان جميع كلامهم استهزاءً بالله ورسله وكتبه ، واحتقاراً للمؤمنين ، فلا يخلو قسم من كلامهم من الأذى الموجه للمسلمين والافتراء عليهم .

ومن الحكمة شعراً :

لا تنهَ عن خُلُق وتأتيَ مثلَه * عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ**

- **عجبت لهم** إذا خلعت امرأة حجابها وتعرت ورقصت في الطريق ومقت الناس فعلها ، فقال لهم هؤلاء ، لا يحق لكم أن تنكروا عليها فهذه حرية شخصية ، فإذا هؤلاء أنفسهم ينكرون على

امرأة تخمرت بخمارها وراحوا يحاربونها ويصفونه بأقبح الأوصاف ويطعنون في عقلها ، وفاتهم أن يقولوا هذه حرية شخصية . فانظر إلى عجيب تناقضهم .

- **عجبت لهم** وقد بدأت مشاريعهم التجارية والصناعية والزراعية بظلم العمال وأكل حقوقهم وهم يدعون ربهم أن يوفقهم في مشاريعهم ويبارك لهم في أرباحها .
- **عجبت لهم** وهم يقولون : نتمنى أن نتعرف على ولي من أولياء الله ونجلس بين يديه ساعة نتبرك به ونستفيد من علومه وفتوحه ، وكلما قيل لهم هذا ولي من أولياء الله طعنوا فيه وآذوه وافتروا عليه .

- **عجبت لهم** يثورون على الحاكم الظالم ، ويملأون النفوس عليه ويشحنون القلوب على بغضه، ويستنطقون العقول والأقلام في تصوير ظلمه وعذاب سجونه ، فإذا دالت لهم الدولة كانوا نسخة متكررة عن الحاكم الظالم القديم .
- **عجبت** لأناس يستدلون بقول نبيهم لنفر من الكفار الذين كانوا يؤذونه : ((أتيتكم بالذبح)) قالها النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة في حياته ولم يكررها ، فإذا هؤلاء يكررونها في اليوم مائة مرة يقولونها لكل من خالفهم وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ،ويقيم الصلاة ويصوم رمضان !.

- **عجبت** لقوم قاموا في جوف الليل يتجادلون في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري ومسلم : ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)) فبعضهم قالوا نزوله إلى السماء حقيقي وبعضهم قالوا لا ينبغي للرب أن يكون نزوله حقيقياً لأنه لا يشبه المخلوقات ومضت بهم ساعات الليل وهم يتمارون ويتهاترون ويكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً ويتبادلون فاحش التهم والافتراءات وبذيء الأقاويل والأوصاف ، وهم غافلون عن

مراد الله في الحديث وهو استغلال ساعات الليل للاستغفار وطلب الحاجات من الغفور الرحيم المعطي المانع .

- **عجبت** لمن يقول للفقير ، لماذا لا تتزوج ، قال له أنا فقير ، فقال للفقير : الفقر ليس عيباً ، والناس يعطون الفقير فتزوج واستر عورتك وذب ألسنة الناس عن عرضك ، قال له الفقير : أنا طالب فتاتكم ، قال له أنت فقير ! ماذا ستطعمها وتشربها وتلبسها وأين ستسكنها ؟ الزواج يحتاج هز الأكتاف .. بنات الناس ما هي لعبة .

أنظر كيف تناقض في كلامه ونصيحته .

- **عجبت** لرجل ميسور عاب على فقير من أقاربه أنه لم يجد عملاً إلى الآن ، فقال له الفقير ، اجعلني عاملاً عندك في معملك ، فقال لا نحتاج إلى عمال ، عندنا كفاية ، قال الفقير وهذا هو رد الآخرين عندما اطلب العمل !
- **عجبت** لقوم يعادون رجلاً من العلماء الصالحين ويؤذونه في كل مجلس ويفترون عليه ، ثم لا يجدون غيره في المنطقة يستفتونه في أمر دنياهم وخصوماتهم ، ولا يجدون أفضل منه ليقرأ على مرضاهم ويرقيهم .

- **عجبت** لامرأة مرض ولدها فأنفقت على طبابته عند الأطباء مائة ألف ليرة دون فائدة ، فجاءت إلى رجل صالح فقير فقرأ عليه الفاتحة والمعوذات ومسح عليه فقام نشيطاً وشفاه الله من أمراضه ، فرمت للشيخ خمس ليرات لا تكفي ثمن ثلاثة أرغفة من الخبز ، وعيال الشيخ عشر بنات وبنين.
- **عجبت** من جمال الرد الإلهي على الفيلم المسيء للرسول صلى الله عليه وسلم الذي حشي بالأكاذيب والافتراءت عليه ، وعجبت للمثقفين العرب من العلمانينن والملحدين الذين جعلوا الفيلم مرجعاً في دراسة حياة النبي صلى الله عليه

وسلم كيف لم يعبأوا بالرد الإلهي القاطع ولم يقيموا له وزناً .

لقد كان الرد الإلهي من عناصر الفيلم نفسه ، فالمخرج الذي أخرج الفيلم واستفرغ فيه جهداً كبيراً في تصوير النبي صلى الله عليه وسلم بالمظهر المقبوح ، حيث فتح الله بصيرة المخرج ، فقام يدرس حياة النبي صلى الله عليه وسلم من المراجع التاريخية المختلفة فاكتشف الحقيقة وأعلن إسلامه ، واعتذاره عن هذا الفيلم الذي اعتبره جريمة بحق الإنسانية ، ومع ذلك عجبت للحمقى الذين لم يعبأوا بهذا الرد الإلهي القاطع .

- **عجبت** من طائفة اتخذت الجهاد والقتالي ديناً لها ، وجعلت ديدنها الجهادي البراءة من الكفار ، والعجيب أنهم بعد أن علقوا جهادهم بالبراءة من الكفار ، كان الكفار هم الذين يمدون هذه الطائفة ، ويسهلون لها طريق المنافع ومقاسمة الثروات .

فهل رأيت خديعة أعجب من ذلك ؟

- **عجبت** من قوم يوجبون على الناس قتال الكفار وجهادهم ، وهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، يدعون إلى الإسلام ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم ويجبنون عن قتال الذي يشنأون النبي صلى الله عليه وسلم ويشتمونه

ويفترون عليه ، وتراهم يقتلون المحبين لرسول صلى الله عليه وسلم بحجة أن الصلاة عليه بعد الأذان بدعة والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم شرك أقبح من شرك عابدي الأوثان ، وأعظم من كفر اليهود والنصارى .

وقد عجب الناس في السابق من أمثال هؤلاء يقال لهم (الخوارج) كيف يتورع أحدهم عن أكل تفاحة من بستان دون أن يدفع لصاحب البستان ثمنها ، ثم تجده يقتل صاحب البستان لأنه خالف مذهبه في فهم الدين .

- **عجبت** من أقوام قامت دعوتهم على قضية القدس ومحاربة الصهيونية ، ثم لم يطلقوا رصاصة على هذا العدو الرئيسي إنما جعلوا رصاصهم كله على إخوانهم الموافقين لهم في الدين المخالفين لهم بالمذهب السياسي والرأي الاجتماعي .
- **عجبت** من الذين يقولون : إن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم اجتهد وأخطأ ، ثم يرفضون أن يتهمهم أحد أنهم يخطئون في اجتهاداتهم ، واجتهادات مشايخهم ، فانظر كيف نسبوا وقوع الخطأ على رسول الله عليه وسلم ونفوا عن اجتهاداتهم نسبة الخطأ.

- **عجبت** لقوم قالوا عن أولاد علي ابن أبي طالب معصومون عن الخطأ ، ثم قالوا عن الحسن بن علي رضي الله عنه : ((مسود وجوه المؤمنين)) عند تنازله عن الخلافة لمعاوية حقناً لدماء المسلمين.
- **عجبت** لقوم خرجوا على عثمان بن عفان وعلقوا خرجهم بأن عثمان خالف شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أبي بكر وعمر في أمور ، فلما ناقشهم فيها ظهر انه موافق لشرع النبي صلى الله عليه وسلم ومقتد بمسيرة أبي بكر وعمر ، فلما ظهرت براءته انقلب قسم من البغاة عند انكشاف الحقيقة وتابوا ، والباقي قتلوه فاعجب

كيف قتلوه بعد ظهور براءته ، واعجب للسياسة وطغيانها وتناقضها .

- **عجبت** لقوم يؤلهون بشراً يأكل الطعام ويدخل الكنيف ويخرج من دبره رائحة خبيثة ، عجباً لهم كيف يجعلونه رباً إذا اشتموا منه ريح الجيف .
- **عجبت** لمشركي قريش يعبدون الملائكة ويعظمونها وينسبونها لله ويقولون عنها هي إناث وهن (بنات الله) ((وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)) ثم إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ))

- **عجبت** للكلاب والخرفان في ساحة البركات ، تلد الكلبة مرتين في السنة في كل بطن عشرة جراء ، وتلد النعجة فريراً واحداً في العام ، ثم تذبح ملايين الخراف كل شهر ، ثم تجد عدد الخرفان أكثر من عدد الكلاب بكثير ، فانظر إلى عجائب ذلك السر الذي يسمى (البركة)
- **عجبت** لأناس إذا قيل فيهم من الخير ما ليس فيهم أعجبهم ذلك ووافق عليه وصادقوا على صحته ، وإذا قيل فيهم من الشر ما هو فيهم سخطوا وكذبوا ما قيل وهو فيهم ظاهر متيقن .

عجبت لأناس يحضرون مجالس الكرام حيث العلم والخير والإصلاح بين الناس ، فلا يتحملوا من تلك المجالس خيراً ، ولا يحفظون منها إلا الشاذة والسيئة إن ذكرت في المجلس ، فهؤلاء يتبعون أسوء ما في مجالس الكرام ، فمثلهم كمثل رجل قال له صاحب غنم ، اختر لنفسك أجود خروف منها ، وخذه هدية ، فاختار كلب الغنم وأخذه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ فَيَسْمَعُ الْحِكْمَةَ، ثُمَّ لَا يُحَدِّثُ عَنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا بِشَرِّ مَا سَمِعَ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى رَاعِيًا، فَقَالَ: يَا رَاعِيَ، اجْزُرْ لِي شَاةً مِنْ غَنَمِكَ، قَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ بِأُذُنِ خَيْرِهَا، فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِأُذُنِ كَلْبِ الْغَنَمِ)) رواه أحمد وابن ماجه وغيرهم

- **عجبت** من البخيل لا صديق له الخالق والمخلوق يكرهونه ، يعيش حياة الفقراء البؤساء ، ويحاسب حساب الأغنياء يوم القيامة .
- **عجبت** من نخوة إبليس وسرعته في سوق الشر لمحتاجه ، قيل إن رجلاً جفته محبوبته فهدد إبليس إن لم يحضرها له سيتوب ، وما هي لحظات إلا وأتت تستعطفه ، فقال : ما أسرعك يا إبليس بالشر ، لله أسرع منك في الخير فتاب مما هو فيه من البطالة والفسق .

قال أبو النواس من البحر المنسرح :

لَمّا جَفاني الحَبيبُ وَاِمتَنَعَت**عَنّي الرِسالاتُ مِنهُ وَالخَبَرُ

اِشتَدَّ شَوقي فَكادَ يَقتُلُني ** ذِكرُ حَبيبي وَالهَمُّ وَالفِكَرُ

دَعَوتُ إِبليسَ ثُمَّ قُلتُ لَهُ ** في خَلوَةٍ وَالدُموعُ تَنهَمِرُ

أَما تَرى كَيفَ قَد بُليتَ وَقَد ** أَقرَحَ جَفني البُكاءُ وَالسَهَرُ

إِن أَنتَ لَم تُلقِ لي المَوَدَّةَ في ** صَدرِ حَبيبي وَأَنتَ مُقتَدِرُ

لا قُلتُ شِعراً وَلا سَمِعتُ غِناً ** وَلا جَرى في مَفاصِلي السَكَرُ

وَلا أَزالُ القُرآنَ أَدرُسُهُ ** أَروحُ في دَرسِهِ وَأَبتَكِرُ

وَأَلزَمُ الصَومَ وَالصَلاةَ وَلا ** أَزالُ دَهري بِالخَيرِ آتَمِرُ

فَما مَضَت بَعدَ ذاكَ ثالِثَةٌ ** حَتّى أَتاني الحَبيبُ **يَعتَذِرُ**

عجبت للرجال في هذا الزمان ، إن آخر قرار يتخذونه هو الزواج ، وبعد ذلك كله قرار النسوان ، يبدأ طاعة الرجل لقرار النساء من وقت العرس

والدخلة ولباس العريس فكله حسب ما يقرره النساء ، وفرش البيت وأدوات المطبخ ولون الحيطان والستائر كله حسب قرارهن ، حتى إذا أراد أن يتخذ قراراً ، قال لا تذهبي لأهلك إن ذهبت فأنت طالق ، فإذا بها تكسر كلمته وتقرر عليه الطلاق ، ثم بعد ذلك لا يجرؤ أن يخالفها خوفاً من بتات الطلاق .

- **عجبت** لذي الغنى والسلطان يشتري اللئام ويجعلهم حوله ، وينفق عليهم طائل الأموال ، وهو قادر على شراء الكرام بمحاسن الأفعال .
- **عجبت** للظالم يأكل من أجور عماله وحقوق الناس ، حتى إذا فضحوا ظلمه ، دفع أضعاف ما

اغتصب لتبيض وجهه وإظهار براءته ، أفلا أعطاهم الحق من البداية وحفظ كرامته ، واستبقى ماله .

- **عجبت** لطاغية خرج شعبه عليه يطالبونه بتيسير أرازقهم ، وتشغيل عاطليهم ، وكف كلابه عن إيذائهم ، فقام عليهم غضبه ، وفتكت بهم أسلحته ، ونهشتهم ضباعه ، واحتوتهم سجونهم ، فكان نفقة إسكاتهم وقمعهم في خمس سنوات كفيلة أن يعيش الشعب بها مرفهاً خمسين سنة . فانظر إلى الحمق ماذا يفعل بالغاشم .

- **عجبت** للمرأة إذا تصالحت مع زوجها وغفرت له كل ذنوبه ، ومزقت الأوراق كلها وابتدأت صفحة

جديدة ، وعفا الله عما مضى ، ثم ما تلبث إذا اختلفت معه في شيء إلا أن تذكر جميع ذنوبه السابقة ، وتنسى أنها غفرتها له وتنسى أنها مزقت الأوراق كلها وتنسى جميع حسناته .

- **عجبت** لذي منطق وبيان كيف يكذب ، وهو قادر على الهروب من الكذب بالمعاريض والتورية .

فائدة :

المعاريض هو لفظ يصدق على عدة معاني تقصد أحدها ، ويفهم السامع معنى آخر ، ومثال ذلك أن رجلا لقي رجلاً مسافراً فقال له ممن الرجل ؟ فقال من ماء .

أراد السائل أن يعرف الرجل المسافر من أي قوم ، فخشي أن يخبره فيعرف أنه من قوم عدو لهم ، فيؤذيه ، واستحى أن يكذب ، فاستخدم المعاريض فقال : من ماء . وقصد أنه مخلوق من ماء ، وفهم السائل أنه من قوم يدعون ماء .

- **عجبت** لمثقفي هذا الزمن أحدهم يكون مهندساً أو طبيباً لا علم له بطرائق الاستنباط من النصوص القرآنية ، فيقرر أن يفسر آيات الله ، فإذا به يأتي إلى آيات الأحكام التي شبعت من التفسير والبيان والترتيب والترجيح ، فيعارض الفقهاء ويتهمهم بالجهل ، ويترك الآيات الكونية التي لم يتعرض لها الفقهاء والمفسرون بالبيان ، فترى

المهندس لا يصرف جهده في تفسير الآيات الهندسية وهي محل اختصاصه ، وإنما يسعى إلى الآيات الفقهية والقانونية التي ليست مجال اختصاصه ، وتجد الطبيب كذلك ، يعترض على الفقهاء في تفسيراتهم الفقهية ، ولا يجتهد في تفسير الآيات الطبية التي هي مجال اختصاصه .

- قد عجبت لطبيب اعترض على حديث النبي صلى الله عليه وسلم : ((يغسل من بول الجارية ويرش من بول الغلام)) فأنكر هذا الحديث واتهم المحدثين باختراعه ونسبته للنبي صلى الله عليه وسلم كذباً واتهم الفقهاء بقلة العقل ، إذا يقبلون بنصوص تفرق بين البنت والولد .

والعجب مما أتى به هذا الطبيب أن الحديث يقع في مجال اختصاصه ، لكنه لم يدرسه من حيث علم الطب ولم يجتهد بإخضاع الحديث لقواعد الطب لمعروفة لديه مثل : ما هو الفرق بين بول البنت وبول الصبي الرضيع ، ولم يقم بالتجارب العلمية ويفحص البولين .

فبعد الدراسة الجادة يحكم هل الحديث يوافق الحقائق العلمية أم لا ، وهل الحكم الفقهي المستنتج مناسب لهذه الحقائق العلمية .

فاعجب أيها الإنسان كيف تركوا مجال اختصاصهم وتكلموا في غير فنونهم ، وقد قال أهل الخبرة :

من تكلم في غير فنّه أتى بالأعاجيب والأغاليط .

ومثل ذلك مهندس الزراعة يطعن بحديث الذبابة إذا وقعت في الشراب أنها تغمس لأن في أحد جناحيها داء وفي الآخر دواء ... يطعن فيه بقوله : لا يمكن لنبي أن يتحدث بمثل هذه الأمور التافهة .. !! يطعن دون أن يدرس حياة حشرة الذباب ويتبين هل ذلك صحيح علمياً ؟ وعلم الحشرات وأثرها في البيئة من مجال اختصاصه .

- **عجبت** للدول الصليبية والملحدة التي تستعمر البلاد العربية ، كيف يمجدون العلم ويوقرون العلماء في بلدانهم ، ثم يقتلون العلماء في البلاد التي استعمروها .

- **عجبت لهم** يتهمون المسلمين بالتخلف والجهل ، وحضارتهم العلمية قامت على أدمغة المسلمين ، وحضارتهم المادية قامت على ثروات المسلمين .
- **عجبت** للذين يتكلمون عن الحضارات ثم لا يرون إلا جانب العلم والتقنية وجانب العمران ووسائل الترفيه ، ينسون الجانب الأخلاقي .

يقولون عن المسلمين متخلفين في آخر المجتمعات الإنسانية ، فإذا فتحنا سجل الجرائم الأخلاقية والمشاكل الاجتماعية والأمراض الجسمية والنفسية المستعصية ، وجدنا المسلمين أكثر المجتمعات الإنسانية طهارة ، فإذا أدخلنا تلك الأمراض

والجرائم والمشاكل في ميزان الحكم على الحضارة لوجدنا الأمة الإسلامية اليوم أكثر الأمم حضارة .

- **عجبت لهم** منعوا المسلم من علوم القوة الدنيوية ، ومنعوا المتعلم من المسلمين من مباشرة أدوات ووسائل الحضارة ، فلا يسمحون لهم باستخراج ثروات بلادهم ولا يسمحون لهم بالصناعة والزراعة ، فهم يضغطون على حكام المسلمين بكل وسيلة حتى يسنوا قوانين تمنع المسلم من إعداد ما يستطيع من القوة العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية .

ثم بعد ذلك يتهمون المسلمين بالتخلف وأن الإسلام هو سبب التخلف ، وأن السبيل الوحيد للتقدم هو التخلي عن الإسلام .

- **عجبت** لهمة المتسول والتصاقه بمورد رزقه ، وهوان كرامته وذلة نفسه ، فهو يجتهد في تحصيل رزقه اجتهاداً كبيراً ، فلو كان اجتهد في حرفة حلال نصف هذا الاجتهاد لاكتفى في حاجاته وعف نفسه وصان كرامته ، وعجبت لهمة اللص في تربصه وترقبه وجهده في فتح مغاليق الأبواب والصناديق ، واعتلاء الأسوار وتعطيل أجهزة المراقبة والاتصالات ، لو أنه بذل عشر ذلك

المجهود في الصيد الحلال والحرفة الحلال لكان عنصراً نبيلاً يحظى باحترام الناس .

- **عجبت** لرجال ونساء يعملون في التربية والإرشاد وحل مشاكل المجتمع والإصلاح بين الأزواج ، ثم ترى الواحد منهم في خلاف مع زوجته ، والواحدة منهم منفصلة عن زوجها ، وترى أولادهم بغير تربية وهم يربون أولاد الناس .

لقد قيل من الوافر :

ففي الدنيا الاسكافي حافي ** ونجّارٌ بلا باب لداره

الإسكافي تقرأ هنا بنقل الهمزة للوزن ، والاسكافي هو صانع الأحذية .

- **عجبت** لفعال الناس وتناقضهم كما عجب الشافعي في قوله :

تَموتُ الأُسدُ في الغاباتِ جوعاً
وَلَحمُ الضَأنِ تَأكُلُهُ الكِلابُ
وَعَبدٌ قَد يَنامُ عَلى حَريرٍ
وَذو نَسَبٍ مَفارِشُهُ التُرابُ

فالشافعي عجب لأفعال الناس في استهانتهم بذي الشرف والعفة من أهل العلم والنسب الذين كالأسود في الغابات ، تموت من الجوع ولا أحد يقدم لها العون ، وعفتها تأبى أن تأكل بالمسألة ،

بينما الحمقى والجهال كالكلاب المدللة التي تأكل اللحم وتنام على الحرير .

وقد ذكرني عجب الشافعي بأدعياء الحضارة ، الذين أكلوا خيرات الشعوب الإفريقية ومنعوها من ثرواتها وأسلموها للمجاعة ، بينما كلابهم تأكل اللحم والشوكولاتة .

وذكرني بالمسلمين الذين بذلوا أموالهم وجهدهم في إطعام الجائعين وحفر الآبار ، وفتح المدارس ، ثم قام أدعياء الحضارة باتهامهم بتجنيد الجوعى في الإرهاب ، وفرض دين الإسلام على الجائعين ... وجعلوا إطعام أصحاب المجاعة في إفريقيا جريمة اسمها تمويل الإرهاب .

- **عجبت** للبشر في الخصومة لا يرى أحدهم في خصمه أي حسنة ، وعجبي أكبر من أعداء الإسلام ، كيف لا يرون في الإسلام أي حسنة ، والإسلام كله حسنات وجمال ، وكلما طالبوا الناس بفعل شيء حسن ، وجدته في كتاب الله ووجدته في إسلام المتقين .

قال أحد المجرمين للقاضي في المحكمة :

أكبر كذبة في المحكمة كلمة الحكم بالعدل ، في محكمتك لا تناقش إلا السيئات والجرائم ولا تنظرون إلى الحسنات ، وفي محكمة الرب ينظر في السيئات والحسنات ثم يحكم بالعدل .

- **عجبت** لشرف العلم ووضاعة الجهل ، فالعلم يدعيه العالم والجاهل والغني والفقير والأمير والعبيد ، والذكر والأنثى والصغير والكبير ولم يصيبوا جمعيا منه إلا كنقرة عصفور من اليم ، والجهل ينفيه الجميع عن أنفسهم وكلهم متحقق فيه.

وفي الحديث القدسي : ((يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم)) رواه مسلم

- **عجبت** للعالم والعبقري لا يقيم له أهله ولا أهل حيه ولا أهل بلده وزناً ، ولا يعظمون رأيه ، ولا يعلون قدره ، فإذا سافر إلى بلد آخر تلقاه الناس بالإكرام والإجلال ، وقد صدق الناس عندما قالوا

: (مزمار الحي لا يطرب) ، وقد قال القاضي عبد الوهاب البغدادي يخاطب أهل بلده :

كم حكمةٍ لِيَ فيكمْ لو رميتُ بها *** لقعرِ بحرٍ لجاءتني جواهرُهُ

لا عيبَ لي غير أني من دياركمُ *** وزامرُ الحيِّ لمْ تطربْ مزامرُهُ

– ذهب أحد مشايخنا يزور أحد شيوخه في بلد آخر فلما علم الناس جاءوا وناموا في الشارع حتى ينظروا للشيخ ، بينما هم لا يقيمون قدرا للشيخ الذي عندهم .

•

- **عجبت** لثبات الإسلام وصموده كيف أن تسعة أعشار الافتراء والبهتان يمارس عليه ، وجميع المخالفين له يشرعون في وجهه السنان ويقذفونه بالسهام ، وجميع المنافقين داخله يجرحون المسلمين ويكتمون أنفاسهم ، وما زال الإسلام صامداً شامخاً .

فهم والإسلام كما قال الأعشى :

كَناطِحٍ صَخْرَةً يَوْماً لِيُوهِنَها *** فَلَمْ يَضِرّْها وأوْهى قَرْنَه الوعِلُ

- **عجبت** للملحد كيف يرى الإسلام شامخاً صامداً ، وكيف يرى الكون يجري بكل كائنة تؤيد الإسلام وتنقض شبهات الملحدين والمبطلين ،

وكيف أن شمس عقلانية الإسلام لا تنطفئ ، ثم لا يكتشف الملحد أن من وراء الإسلام قوة غيبية عظيمة تحافظ عليه وتنصره ، يقول عنها المسلمون إنها قوة الله العليم القدير .

قيل من البحر البسيط :

يا ناطحًا جَبلاً يومًا ليوهنَهُ *** أشفِق على الرأسِ لا تشفق على الجَبَلِ

- **عجبت** للملحد كل يوم ينكر وجود الله مائة مرة ، فلو لم يشاهد فؤاده مائة آية على وجود الله لما أنكر وجوده مائة مرة ، فهو دائماً في صراع مع ضميره الذي يقر بأن له خالقاً قديراً .

قال لبيد بن ربيعة :

فَيا عَجَباً كَيفَ يُعصى الإِلَهُ ** أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ

وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ** تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ

وَلِلَّهِ في كُلِّ تَحريكَةٍ ** وَتَسكينَةٍ أَبَداً شاهِدُ

- **عجبت** لمن يطعن على الإسلام في تشريع أحكام ملك اليمين ، ويتناسى إقساط الإسلام في العبيد ، والإحسان إليهم حيث العبد يجب أن يطعمه السيد مما يطعمه ويجب أن يلبسه مما يلبس ، ويجب أن لا يكلفه ما لا يطيق ، ولا يظلمه ولا

يحقره ، ويتناسى أن الإسلام جعل فداء ضرب العبد عتقه ، وجعل كفارة كل خطأ تحرير رقبة مؤمنة ، وأن الإسلام فتح باب الحرية لكل عبد لديه همة للعمل والحصول على حريته بالمكاتبة على حريته لقاء قسط شهري يؤديه لسيده ، ويتناسى أن الإسلام حرر العبيد من الظلم في كل بلد فتحه المسلمون ، ويتناسى الطعن في تجارة اللحم الأبيض واستعباد السود وقهرهم الذي يمارسه أعداء الإسلام إلى الآن .

- **عجبت** لمسبيّات المسلمين كيف أنشأن جيلاً من العلماء المحبين للإسلام وقد قامت على هممهم صروح الحضارة العلمية الإسلامية حيث كان

أشهر العلماء من الموالي، فلو لم يكن الإسلام شيئاً كريماً لما ورثت السبايا محبة الإسلام في نفوس أولادهن .

وعجبي أكثر ممن يريد أن يطعن الإسلام بالسبايا ويتهمه بالظلم والشين ، في حين كان العبيد والمسبيات يمدحون دين الإسلام .

- **عجبت** لمن يتهم فتوحات الإسلام بأنها قامت على السيف وسفك الدماء ، ولا يفطن إلى أن جميع مسلمي بلاد الشرق الغرب التي فتحها المسلمون ، كان أجداهم غير مسلمين ، وإنما دخلوا في الإسلام لما لمسوا رحمة المسلمين وعطفهم ونصرة المظلوم وإقامة العدل ، فلا ترى المسلمين

اليوم يطالبون بالثائر لدماء أجدادهم لأنهم علموا بنقل جيل عن جيل أن جميع من قتلهم سيف الإسلام كانوا ظالمين مستحقين للقتل لذلك وقف مسلمو المشرق والغرب اليوم مع الإسلام لا مع أجدادهم المقتولين .

ثم إن هؤلاء الطاعنين على الإسلام يتركون الطعن على أعداء الإسلام الذين كانوا يرتكبون المجازر ويقتلون الأطفال والنساء والشيوخ .

فانظر إلى كثرة تناقضهم بإطلاق الأحكام واتباعهم للهوى والباطل .

- **عجبت** لقوم ادعوا محبة آل البيت واتباع هديهم وسننهم ، ثم جعلوا دينهم مبنياً على بغض

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنه لا تنعقد محبة آل البيت في القلب ولا يصح إسلام حتى يبغض الصحابة .. وكان عجبي كبيراً عندما ظهر لي من قراءة سيرة أئمة آل البيت رضي الله عنه أنهم كانوا يحبون جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويتبرأون ممن يبغضهم .

- عجبت لقوم ينكرون تحريم نكاح المتعة ، ثم يرونه شيئاً حسناً مفيداً ، فإذا قال المخالف لأحدهم : زوجني أختك ، أو زوجني ابنتك أسبوعا بألف ، رفض وعدّ ذلك قبيحاً . فانظر إلى ما وقع فيه من التناقض .

فائدة : نكاح المتعة كان من أنكحة الجاهلية ، وهو نكاح مؤقت بوقت لقاء أجرة ، كان الناس يفعلون في السفر والحروب لحاجة المسافر المؤقتة إلى النساء .

فلما جاء الإسلام لم يحرم كل شيء فعله الناس في الجاهلية ، وكان من ذلك نكاح المتعة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه ، فانتهى الناس عنه ، ثم سمح به لاثنين من المسلمين ، ثم بعد ذلك حرم النبي صلى الله عليه وسلم نكاح المتعة تحريماً قطعياً أبدياً ، مما جعل الناس يعدونه نوعاً من أنواع الزنا منذ وقت التحريم إلى يومنا .

- **عجبت** لمن منع الزواج بأكثر من واحدة وأباح اتخاذ ما يشاء من الخليلات ، وعجبت لمن منع زواج القاصرات وطعن على الإسلام في إباحة زواج القاصرات ثم تغافل عن العدد الهائل للبنات القاصرات الذين يرمين أولادهن من الزنا في الحاويات وعند الأديرة .
- **عجبت** لدعاة تحرير المرأة يقولون لها الإسلام جعلك خادمة عند زوجك ، ولم يخبروها أن المرأة المتحررة اليوم تقبع خادمة معبدة عند سيدها الكلب والذئب والخنزير .. ولم يخبروها أن الإسلام أوجب على الرجل أن يكون خادماً لأمه وأخواته وخادما لزوجته وبناته ، كما قال الله عن الزوجات

((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ))

فأيهما أفضل أنت تكون خادما لزوج مسلم ألزمه إسلامه بخدمتها وإحسان عشرتها ، أم تكون عبداً لشهوات الرجال لا ينفعونها بشيء حتى يأخذوا منها مائة شيء مقابله .

- **عجبت** للرجل المسلم الذي تنغلق عليه جميع موارد الرجولة واللياقة الأدبية عند الغضب من زوجته ، فلا يجد مورداً ليكبتها أسهل من الطلاق والتهديد به ، ثم يذهب يدور على المشايخ والمفتين هذا يطرده ، وهذا يعنفه ، وهذا يستهزئ برجولته ، يذل نفسه ويهين رجولته ليجد فتوى لطلاقه فيها سبيل الرجوع إلى حضن زوجته .

وكما قال ناصيف اليازجي من البحر الوافر:

إذا هَلَكَتْ رِجالُ الحَيِّ أضحَى** صَبِيُّ القومِ يحلِفُ بالطَّلاقِ

- **عجبت** للمماري يماري الناس ويجادلهم وليس قصده إظهار الحق ولا الوصول إليه ، وكل قصده التفتيش عن الخطأ والزلة وإظهار الذين يجادلهم بمظهر الخطأ .

لذلك كره النبي صلى الله عليه وسلم المراء لأن المقصود من المراء تتبع الأخطاء لا الوصول للحقيقة والحق ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا)) رواه أبو داود

- **عجبت** للطاعنين بالإسلام كيف لا يعتبرون بغيرهم من الطاعنين الشرسين عندما قرأوا عن الإسلام قراءة تدقيق ، فوجدوا الإسلام أفضل ما يوافق الفطرة والعقل والعلم ، فأعلنوا إسلامهم ، فإذا قيل ماذا وجدتم في الإسلام ؟ قالوا :

أجابنا الإسلام عن كل أسئلتنا

لم نجد فيه ما يعارض العقل الصحيح والفطرة السليمة .

تبدلت حياتنا وصارت إيجابية وأكثر عطاءً وأكثر اتزاناً ، وصرنا أقدر على التعامل مع تحديات

الظروف .

ويقول النساء اللواتي أسلمن بعد دراسة ، وجدت حريتي الخالصة في الإسلام ، فصرت أشعر بحريتي الحقيقية، وصرت أكثر احتراماً في نظر من حولي.

- **عجبت** لمن قرأ هذا الكتاب ولم يستفد من العجب الذي فيه ولم يشارك رسالته ، ولم يقل : (وآخر دعوانا أن الحمد لله) .